من كثرة صدقه فقال قريش للوليد فما هو فكر في نفسه ثم
نظر ثم عبس فقال ما هذا الا سحر ما رايتموه يفرق بين الرجل واهله
فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا
يمكنه ان يقول فيها قوله فقتل اي لعن وقيل قهر وغلب
وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا قال ابن الخطيب
وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام ومنه قولهم قتله الله
ما اشجعه واخزاه الله ما افجره ومعناه انه قد بلغ المبلغ
الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك واذا
عرف ذلك فنقول هذا يحتمل وجهين الاول انه تعجب من قوة
خاطره يعني انه لا يمكن القدح في امر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة
اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القايل الثاني الثناء عليه على
طريقة يعني ان هذا ذكره في غاية الركاكة والسقوط قوله
كيف قدر اي كيف فعل هذا كقوله تعالى انظر كيف ضربوا الامثال
ثم قتل بضرب اخر من العقوبة كيف قدر على اي حال قدر ثم
نظر باي شي يرد الحق ويدفعه قال ابن الخطيب والمعنى انه
اولا نظر وثانيا قدر وثالثا نظر في تلك المقدر فالنظر السابق
للاستخراج والنظر اللاحق لتمام الاحتياط فهذه المرات الثلاث
متعلقة باحوال ثلاث قوله ثم عبس يقال عبس يعبس
عبسا وعبوسا اي قطب وجهه وقال الليث عبس يعبس
فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه فاذا ابدى عن اسنانه في
عبوسه قيل كلح فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر فان غضب
مع ذلك قيل بسر واعلم انه ذكر صفات جسمه بعد صفات قلبه
وهذا يدل على عناده لان من فكر في امر حسن يظهر عليه الفرح
لا العبوس والعبس ايضا ما يبس في اذناب الابل من البعر والبول
قال ابو النجم

كان في اذنابهن الشول ... من عبس الصيف قرون الايل

فصل معنى الاية قطب وجهه في وجوه المؤمنين وذلك
انه لما قال لقريش بان محمدا ساحر مر على جماعة من المسلمين فدعوه
الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس على النبي صلى الله عليه
وسلم حين دعاه والعبس مصدر عبس مخففا كما تقدم قوله
وبسر يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض ما بين عينيه
كراهة للشي واسود وجهه منه يقال وجه باسر اي منقبض
اسود كالح متغير اللون قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر
ابن الحرث

صبحنا تميما غداة الجفار ... بشهبا ململمة باسره

واهل اليمن يقولون بسر المركب وابسر اي وقف لا يتقدم ولا يتاخر
وقد ابسرنا اي صرنا الى البسور وقال الراغب البسر استعجال
الشي قبل اوانه نحو بسر الرجل حاجته طلبها في غير اوانها وماء بسر
متناول من غديره قبل سكونه ومنه قيل للذي لم يدرك من التمر
بسر وقوله تعالى عبس وبسر اي اظهر العبوس قبل اوانه وقبل
وقته قال فان قيل فقوله تعالى وجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون
ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يكون قبل وقته قيل
اشير بذلك الى حالهم قبل الانتها بهم الى النار فخص لفظ البسر

تنبيها

تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى
ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك تظن ان يفعل بها فاقرة وفي
عطفه في هذه الجمل بحروف مختلفة ولكل منها مناسبة اما ما
عطف بثم فلان بين الافعال مهلة وثانيا لان بين النظر والعبوس
وبين العبوس والادبار تراخيا قال الزمخشري وثم عطف على فكر
وقدر والدعا اعتراض بينهما يعني بالدعا قوله فقتل ثم قال
فان قلت ما معنى ثم الداخلة على تكرير الدعا قلت الدلالة على ان
الكرة الثانية ابلغ من الاولى ونحوه

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي

فان قلت ما معنى المتوسط بين
الافعال التي بعدها قلت للدلالة على انه تانى في التامل وتمهل وكان
بين الافعال المتناسقة تراخ وبعد فان قلت فلم قال فقال
بالفا بعد عطف ما قبله بثم قلت لان الكلمة لما خطرت بباله بعد
التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فان قلت فلم لم يتوسط
حرف العطف بين الجملتين قلت لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التاكيد
من المؤكد قوله ثم ادبر اي ولى واعرض ذاهبا عن سائر الناس
الى اهله واستكبر حين دعي الى الايمان اي تعظم وقال ان هذا الا
سحر يؤثر اي ما هذا الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر يؤثر
اي ياثره عن غيره والسحر الخديعة وقيل السحر اظهار الباطل في صورة
الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته عن غيرك
ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف قال الاعشى

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والاثر

وقال ابن الخطيب فيه وجهان الاول انه من قولهم اثرت الحديث
اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في اثارهم او بعد ما ماتوا هذا هو
الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان والثاني يوثر عن جميع السحر
لهذا يكون من الايثار وقال ابو سعيد الضرير يوثر اي يورث قوله
ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين يختدع به القلوب
كما يخدع بالسحر قال ابن الخطيب ولو كان الامر كذلك لتمكنوا من
معارضته اذ طريقتهم في اللغة متقاربة قال السدي انه من
يسار عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه الى
انه تعلم وهذا الكلام يدل على ان الوليد كان يقول هذا الكلام عنادا
لما روي في الحديث المتقدم انه لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم يقول لقد سمعت من محمد كلاما ما
ليس من كلام الجن ولا من كلام الانس الحديث فلما اقر بذلك في اول الامر
علمنا ان قوله هاهنا ان هذا الا قول البشر انما ذكره عنادا او تمردا لا اعتقادا دا
قوله ساصليه سقر هذا بدل من قوله تعالى سارهقه صعودا قاله
الزمخشري فان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان المراد
صخرة في جهنم كما جاء في التفسير فيعسر البدل ويكون فيه شبه من بدل
الاشتمال لان جهنم مشتملة على تلك الصخرة فصل المعنى ساداخله
سقر كي يصلى حرها وانما سميت سقر من سقرته الشمس اذا اذابته ولوحته
واحرقت جلدة وجهه ولا ينصرف للتعريف والتانيث قال ابن عباس
سقر اسم للطبقة السادسة من جهنم وما ادراك ما سقر هذه مبالغة
في وصفها اي وما اعلمك اي شي هي وهي كلمة تعظيم وتهويل ثم فسر حالها
فقال جل ذكره لا تبقي ولا تذر اي لا يترك لهم لحما ولا عظما ولا دما الا احرقته

King Saud University
Copyright © King Saud University